أَهميَّةُ المعنى الشعريِّ في النقـد العـربيِّ القـديمِ

طالب الدراسات العليا: محمد حسن الشعير
كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيِّة – جامعة البعث
بإشـــــراف:
أ. د. أحمد دهمـان(*) د. رئيفة السلومي(**)

الملخَّص:

عالجت هذه الدراسة، ضمن مشروع علميٍّ للباحث، مسألةَ أهميَّة المعنى الشعريِّ عند النقاد والبلاغيِّين العرب القدامى، من الجاحظ (255هـ) إلى حازم القرطاجنِّيِّ (684هـ)، وذلك وفق منهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ.

ناقشت الدراسةُ بدايةً إشكاليَّةَ قضيَّة اللفظ والمعنى التي أوهم ظاهرُ أمرها كثيراً من الدارسين أن عناية النقَّاد والبلاغيِّين القدامى إنَّما تتجه نحو الألفاظ، وأنَّهم يُغفلون في ذلك شأن المعاني. ثم فصَّلت الدراسةُ القولَ في أهميَّة المعاني الشعريَّة عند هؤلاء العلماء، فكشفت عن عناية فائقة منهم بها، وأنّها تتزلُ منزلةً عالية الأهميَّة في فكرهم النقديِّ. ثمَّ حاولت الدارسةُ استجلاءَ أهمِّ الأسباب التي دعت الناقدَ العربيَّ القديم إلى العناية بالمعاني وتنزيلها هذه المنزلة. ثمَّ خُتمت بما توصَّلت إليه من النتائج.

كلمات مفتاحيَّة: المعنى الشعريّ، النقد العربيّ القديم.

(*) أستاذ النقد الأدبيِّ والبلاغة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة البعث.
(**) مدرسة النثر العباسي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة البعث.

The importance of poetic meaning In ancient Arab criticism

Graduate student: Muhammad Hassan Al-Sha'ir
College of Arts, Science and Technology - Al-Baath University
Under the supervision of:
a. Dr.. Ahmed Dahman(*) Dr. Raifa Al-Saloumi(**)

Abstract:

This study dealt with the importance of poetic meaning among ancient Arab critics and rhetoricians, from Al-Jahiz (255 AH) to Hazem Al-Qartajni (684 AH), according to a descriptive and analytical approach.

The study discussed the beginning of the problem of the issue of pronunciation and meaning, which illusion apparent to many scholars that the attention of critics and rhetoricians old but directed towards words, and they overlook the meanings. Then the study detailed the statement on the importance of poetic meanings when these scholars, revealing great care of them, and that they descend a high position in their critical thought. The study then tried to clarify the most important reasons that led critics to take care of meanings and download this status. She then concluded with her findings.

Key words: importance, poetic meaning, ancient Arab criticism..

(*) Professor of Literary Criticism and Rhetoric at the Faculty of Arts and Human Sciences, Al-Baath University.

(**) School of Abbasid Prose, Faculty of Arts and Human Sciences, Al-Baath University .

- **مقدِّمة:**

لمّا كان الكلام موضوعاً للتّعبير عن المعاني، فإنّه من البدهيّ أن يكون المعنى ركيزة أيّة دراسة تدور حول هذا الكلام، سواءٌ أكانت لغويّةً أو نحويّةً، أو أدبيّةً، أو نقديّةً، أو بلاغيّة. وإن اختلفت درجات حضوره – وفق طبيعة المسائل والقضايا المبحوث فيها – فإنّه يبقى هو الأساس والمنطلق والهدف، ولذلك ذهب بعضهم إلى أنّ «المعنى أساس نظريّة الأدب والنّقد في لغات العالم جميعاً»[1]. وفيما يخصّ التّراث النّقديّ والبلاغيّ عند العرب على وجه التّحديد، فإنّ هذه الفرضيّة يسلّم بصحّتها من له أدنى اطّلاع على كتبه، فضلاً عمّن يقف عليها وقفة تأمّل؛ إذ يظهر للمعنى حضور واسع في هذا التّراث، يعرب عن منزلة عالية له، وأهميّة كبرى، تظهر بمجالات متعدّدة وصور متنوّعة.

- **أهداف البحث وأهميته:**

يهدف هذا البحث إلى بيان أهميَّة المعاني الشعريَّة عند النّقّاد والبلاغيّين القدامى، كما يهدف إلى كشف الأسباب التي دعتهم إلى العناية بالمعاني، والحفاوة بها، والإعلاء من شأنها، ولاسيّما أنّ مباحث المعنى وإشكاليّة نظريّته في هذا التّراث «مسألة متشابكة ومتوالجة مع عدد كبير من القضايا، فهي بذلك تحتاج إلى تفكيك وتحليل»[2].

وتكمن أهمّيّة هذا البحث في أنّه يناقش جملة من الأمور، أبرزها تلك الآراء النّقديّة الحديثة التي ذهب أصحابها إلى أنّ البلاغة العربيّة بلاغة لفظيّة، وأنّ النّقّاد القدامى لم يبالوا بالمعاني، وكان همّهم التّأنّق في الكلام والتّزيّن في الألفاظ. وهي دعوة خطيرة بحقّ النّقد العربي القديم، تشوه نظريّة الشعر فيه وتسيئ إليها.

(1) **مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة:** محمد بركات حمدي أبو علي، ص43. (طلباً للإيجاز، ستذكر هوية المصادر والمراجع كاملةً في الثبت).

(2) **نظرية المعنى عند حازم القرطاجني:** فاطمة الوهيبي، ص10.

وللبحث في هذا الموضوع أهمّيّة أخرى؛ من جهة أنّه يسهم في التأصيل لمنهج نقديّ جماليّ، ربط بين جمال اللغة والصياغة المؤثرة وجمال المعنى، وجعل الأولى سبيلاً للأخرى، وذلك إيماناً ووعياً من أصحابه بوظيفة الشعر الجماليّة؛ في تحقيق المتعة والفائدة بآن، وبدوره الثقافيّ، وصلته بالمجتمع والناس والحياة.

أولاً – إشكاليّة اللفظ والمعنى:

أخذ بعض الدارسين – في خمسينيّات القرن الماضي – على البلاغة العربيّة أنّ دائرة البحث فيها محصورة بالألفاظ، وأمّا المعاني فلا يُسمع للبلاغيّين قولٌ في شأن من شؤونها[1]. ثمّ بدأت مثل هذه الآراء تتفشّى في الدّرس الحديث، وكان من أخطر آثارها أنْ قُسِّم النّقادُ القدامى إلى فريقين أولهما يناصر اللفظ، فلا ينظر إلى الشعر إلا من منظور هذه البلاغة اللفظية، والآخر يناصر المعنى. وجُعل الجاحظُ على رأس الفريق الأول، ويتبعه الآمديّ، وأبو هلال وغيرهم. يقول بدوي طبّانة – مثلاً –: «كان العسكريّ من مدرسة الجاحظ التي تتشيّع للصّياغة، وتتعصّب للّفظ، وربّما كان العسكريّ أكثر من رأينا **مغالاة في تقدير قيمة اللّفظ، يجعله في الأثر الأدبيّ كلَّ شيء، ويجحد المعنى فلا يجعله شيئاً** ... فمدار البلاغة في نظر العسكريّ هو الصّناعة اللّفظيّة، والتّأنّق في صوغ اللّفظ، ويُعدّ ذلك التّأنّق غاية الغايات في نظم الكلام، أو هدف الأدب، أمّا أن تكون الغاية إفهام القارئ أو السّامع فحوى الكلام، فذلك ما لا يراه العسكريّ»[2].

وقد بنى طبّانة رأيه على مقولة الجاحظ: «**المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقرويّ، والمدنيّ. وإنّما الشّأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللّفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطّبع وجودة السّبك. فإنّما الشّعر**

(1) ينظر: **فن القول:** أمين الخولي، ص97.

(2) **أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية:** بدوي طبانة، ص 126–127.

صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير»[1]، هذه المقولة التي أطلقها الجاحظ وأعاد النقاد إنتاجها بصيغ مختلفة، وأبو هلال منهم، ذلك الذي قال: «وليس الشّأن في إيراد المعاني؛ لأنّ المعاني يعرفها العربيّ والعجميّ...، وإنّما هو في جودة اللّفظ وصفائه ونزاهته»[2]، وعلى مثال ذلك صرّح الآمديّ بأنّ: «التّقدمة لا تكون بالمعاني وحدها»[3]؛ إنّما «بحسن التّأليف وبراعة اللّفظ»[4]، وأعاد أبو القاسم الأصفهانيّ (410هـ) الفكرة، فقال: «اعلم أنّ المعاني مطروحة نصب العين وتجاه الخواطر، يعرفها نازلة الوبر، وساكنة المدر والقرائح فيها تشترك، وإنّما المعنى في سهولة مخرج اللّفظ، وكثرة الماء...»[5]. ولذلك ذهب الشّريف المرتضى (436هـ) إلى أنّ: «حظّ الألفاظ في الكلام الفصيح – منظوماً ومنثوراً – أقوى من حظّ المعاني»[6]. ووثّق ابن رشيق (463هـ) مجمل آراء هؤلاء العلماء وغيرهم، فقال: «قال العلماء: اللّفظ أغلى من المعنى ثمناً، و... العمل على جودة الألفاظ، وحسن السّبك...»[7].

وعلى منوال مذهب طبّانة قامت دراسات وأبحاث كثيرة فسّر أصحابها مذهب النّقاد هذا – والذي مثّلنا له بنصوص من جهود بعضهم – بأنّه يتعصّب للّفظ؛ يناصره ويعلي من شأنه، ولا يقيم للمعاني وزناً[8]. وأكثر من اتّجه إليه الباحثون في دراساتهم "الجاحظ"، بوصفه أصل القضيّة، فقالوا: إنّه «نفض عن المعنى كلَّ أهمّيَّة»[9]، واستهان به، وهو

(1) ينظر: **الحيوان**، الجاحظ، ص 131/3–132.
(2) **الصناعتين**: أبو هلال العسكري، ص 72.
(3) **نفسه** 471/3.
(4) **الموازنة بين الطائيين أبو تمام والبحتري**: الآمدي، ص 381/1.
(5) **الواضح في مشكلات شعر المتنبي**: أبو القاسم الأصفهاني، ص51.
(6) **طيف الخيال**: الشريف المرتضى، ص 33.
(7) **العمدة**: ابن رشيق القيرواني، ص 127/1.
(8) ينظر: **ظاهرة الخلط**: عبدالحكيم راضي، ص ص 14–77، فقد أحصى راضي آراء ما يربو على عشرين دارساً محدثاً دارت أغلبها في هذا الفلك.
(9) **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**: محمد زكي العشماوي، ص270.

ليس بشيء عنده. ووفق هذا التّوجيه الذي يجتزئ النّصوص، وتغيب عنه في أوقات كثيرة الدّلالات الحقيقيّة لمصطلحات القدماء بات كلّ نشاط النّقّاد العرب – ومنهم عبد القاهر – مجرّد بحث عن «**جمال لفظيّ**»[1]؛ فالنّقّاد عند أصحاب هذا الرّؤية: «**يجهدون أنفسهم في الكشف عن حسن الكلام في حسن ألفاظه في ذاتها، ويذهبون في ذلك إلى تناسي المعاني**»[2]. حتّى اختلط الأمر في هذه القضيّة اختلاطاً شديداً نجم عنه «فسادٌ كبير»[3]، وفق توصيف محمود شاكر.

والمشكلة أنّ هذا الفساد لا يقف عند حدود ما انتهت إليه هذه القراءات من نتائج جانبت الدّقّة والصّواب، بل يتفاقم خطره لما يترتّب على إحالة مقاصد الجاحظ وغيره عن جهتها من إساءة إلى التّفكير النّقديّ والبلاغيّ عندهم، بله التّفكير النّقديّ عند العلماء العرب برمّتهم، إذ تشوّه نظرتهم إلى الشّعر، أو تخلّ بها على أقلّ تقدير؛ فالقول بأن الجاحظ– أو غيره – يناصر اللّفظ أو يميل إليه أو يفضّله، ولا يقيم للمعاني شأناً، يفهم منه أنّه يفصل بين اللّفظ والمعنى، وأنّ الشّعر عنده صناعة لفظيّة متكلّفة، وأنّه يطلب من الشّاعر أن تكون «همّته مقصورة على تجويد الألفاظ، ويهمل المعاني المنوطة تحتها»[4]، وهذا من شأنه أن يجعل الشّاعر يسعى إلى «طلب المعاني من الألفاظ»[5]، فيكون تابعاً لها، لا لما تمليه أفكاره من معان كما ينبغي أن تكون عليه حال الشّاعر الحقيقيّ، وهو

(1) **نظرية المعنى في النقد العربي القديم**: مصطفى ناصف، ص 55. حيث يقول ناصف: «أعتقد أن كثرة ترديد كلمة اللفظ تشير – من قريب – إلى سلطان هذه الفكرة على النفوس بحيث يصبح الشعر كلّه داخلاً في هذا الإطار الضيق الرديء ... لقد وضع الشعر العربي كلّه في "زكيبة" واحدة، الشعر القديم ذو جمال لفظي، والشعر الحديث كذلك».

(2) **النقد الأدبي الحديث**: محمد غنيمي هلال، ص259.

(3) **دلائل الإعجاز**: عبدالقاهر الجرجاني، (مقدمة المحقق) ص: ز.

(4) **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**: ابن الأثير الجزري، ص21.

(5) **المستصفى في علم الأصول**: أبو حامد الغزالي، ص32.

أمر لا يصدر إلا عن «متخلّفي هذه الصّناعة»[1] كما يقول ابن الأثير، فضلاً عن أن يدعوا النّقّاد إليه، ومنهم عالمٌ يعدّ مؤسّس علم البيان العربي.

وتعظم المشكلة بأن باتت مثل هذه الآراء مقررات وثوابت[2]، مع أنّ الباحث في كتب القدماء، على مدى قرون طويلة شاعت فيها كتب الجاحظ، لا يعثر على نصّ واحد يشير إلى هذه القسمة الصارمة للنقّاد: (فريق آثر اللّفظ، وآخر آثر المعنى)[3]، ويكون القصد من "إيثار اللّفظ" التهوّين من قيمة المعاني الشّعريّة، وأنّها ليست بشيء.

ويمكن لنا أن نحتكم في هذه القضية بالرّجوع إلى مستندين:

الأوّل (جهود الجاحظ): فالملاحظ أنّ معظم قراءات الدّارسين المحدثين جاءت مبنيّة على نصّ واحد مفصول عن جملة تراث الجاحظ الضّخم الذي فيه من الشّواهد ما يطرحها، فهو طالما أنكر «قهر الكلام واغتصاب الألفاظ»، وامتدح الشّعراء «المطبوعين الذين **تأتيهم المعاني سهواً ورهواً، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً**»[4]، وبيّن أنّ «من قرأ كتب البلغاء، وتصفّح دواوين الحكماء؛ **ليستفيد المعاني**، فهو على سبيل الصّواب، ومن نظر فيها ليستفيد الألفاظ فهو على سبيل الخطأ. والخسران ههنا في وزن الرّبح هناك؛ لأنّ من كانت غايته انتزاع الألفاظ حمله الحرص عليها، والاستهتار بها إلى أن يستعملها

(1) **الجامع الكبير** 69.

(2) ما تزال آراء الجاحظ إلى وقتنا هذا تُقرأ من قبل كثير من الباحثين ضمن الفهم المغلوط نفسه. نشير مثلاً إلى: **المعنى في علم الكلام والتفسير والنقد العربي القديم (رؤية نحوية دلالية)**: عبد السلام حامد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الكويت، الحولية 37، الرسالة 474، 2017م، ص107.

(3) لابن رشيق في العمدة نص يشبه في عبارته عبارة الدارسين المحدثين في تقسيم النقاد إلى فريقين، ولكن سرعان ما يظهر للقارئ أن المقصود بكلامه الشعراء لا النقاد، يقول: «... للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع، كقول بشار: ...، وفرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر: كأبي القاسم بن هانئ ومن جرى مجراه ... ، ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته: كابن الرومي، وأبي الطيب...». **العمدة** 1/124-126.

(4) **البيان والتبيين**: الجاحظ، ص 12/2.

قبل وقتها، ويضعها في غير مكانها»[1]، ولذلك ذهب إلى أنّ «شرّ البلغاء من هيّأ رسم المعنى قبل أن يهيّئ المعنى»[2]. فمثل هذه النصوص – على صغرها – تُظهر على نحو لا مِراء فيه أهميّةَ المعنى – في حال كان هناك ما يستدعي إثباتها أصلاً – عند الجاحظ، كما أنّها تنفي كلّ دعوة تذهب إلى أنّه يفصل اللّفظ عن المعنى، أو أنّ الشّعر عنده لفظ وموسيقا فحسب. ولعل ما من دليل أظهر على أهمّيّة المعنى عنده من أنّه سخّر أضخم كتبه – كتاب الحيوان – للبحث من خلال المعاني الشعرية عن أسرار الحيوان، وأنواعه، ومسمّياته، ونسله، وطعامه، ومواطنه، وما له من منافع أو ضرر[3]. ودليل آخر على أهمّيّة المعنى عنده وأنّه فوق التّزويق والزّخرفة اللّفظيّة، أنّ عبد القاهر كان «شديد الحفاوة بالجاحظ»[4] مع أنّه عاب من نصر اللّفظ على المعنى بشدّة في كتبه[5]، إذ لو أنّه رأى فساداً في تصوّر الجاحظ للشّعر، وأنه يرفع اللفظ ويحطّ من شأن المعنى، لما كان هناك ما يمنعه من نقده ومؤاخذته.

والكلام على الجاحظ ينطبق على أبي هلال أيضاً؛ فبعد أن تابع الجاحظ في أنّ الشأن ليس في إيراد المعاني، نبّه في غير موضع – حتى لا يُصرف كلامه إلى غير جهته – على أنّه «**لا خير فيما أُجيد لفظُه إذا سَخُفَ معناه**»[6].

---

(1) **نفسه** 207.

(2) **رسائل الجاحظ:** (الرسائل الأدبية)، ص 206.

(3) نشير مثلاً إلى: «باب احتاج صاحب الكلب بالأشعار، للدلالة على مالها من منافع»، **الحيوان** 5/2.

(4) **دراسة في البلاغة والشعر**: محمد أبو موسى، ص 47. ومن أمثلة هذه الحفاوة التي يشير إليها أبو موسى، وهو شاهد يفيد في توكيد ما نذهب إليه، اتخاذُ عبد القاهر خطب الجاحظ مثالاً في من لزم سجية الطبع وابتعد عن التعمل والاحتفال في الصنعة، لأنه فيما يقول عبدالقاهر: «رأى التوفيق بين المعاني أحق، والموازنة فيها أحسن، ورأى العناية بها حتى تكون إخوة من أب وأم... أولى من أن يدعها لنُصرة السجع وطلب الوزن أولاد عَلّة». **أسرار البلاغة**: عبدالقاهر الجرجاني، ص 9–10. وأولاد علة: أي أبوهم واحد، وأمهات شتى.

(5) ينظر: **أسرار البلاغة** 8. حيث يقول عبد القاهر: «الألفاظ خدم المعاني والمُصرَّفة في حكمها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفتح أبواب العيب».

(6) **الصناعتين** 75.

وأمّا المستند الثّاني فهو (جهود بقيّة النّقّاد): ولا سيّما ابن جنّي وعبد القاهر، فأمّا ابن جنّيّ فقد ربط المسألة بالعمق العربيّ الذي يعنى بالمعنى، فعقد باباً خاصّاً في كتابه الخصائص: (في الرّدّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني)[1]، وبيّن فيه أنّ الألفاظ عند العرب «لمّا كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها ورتّبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك **أوقع لها في السّمع، وأذهب في الدّلالة على القصد**»[2]. ثمّ خصّ الشّعر بحديثه، فبيّن فاعليّة اللّفظ فيه، بجعل «النّفس له أحفظ، وإليه أسرع، [يقول]: ألا ترى الشّاعر قد يكون راعياً جِلْفا، أو عبداً عَسِيفاً، تنبو صورته، وتُمَجُّ جُملتُه، فيقول ما يقوله من الشّعر، فلأجل قبوله، وما يورد عليه من طلاوته، وعذوبة مستمعه ما يصير قوله **حُكماً يُرجع إليه، ويقتاس به**»[3]. فوضّح لنا ابن جنّيّ أنّ العناية بالألفاظ ما هي إلا خدمة للمعنى الذي يرقد تحتها، ليس فقط في سبيل الكشف عنه وإيصاله، بل «لتحصين المعنى وتشريفه»[4]، وحتّى يقع موقعاً حسناً مؤثّراً في نفوس السّامعين، فيؤخذ به وتدرك غاياته.

وإن كان حديث أبي الفتح متّجهاً إلى العرب، بوصفهم أصحاب البيان، فقد اتّجه عبد القاهر إلى نقّاد هذا البيان، فناقش آراءهم في هذه القضيّة، وأبدى عناية كبرى في الكشف عن "الأسرار"، وتقصّي "الدّلائل" على صحّتها، على نحو من شأنه أن يحسم دعوى نصرة النّقّاد للّفظ على حساب المعنى، ويضع الأمور في نصابها الصّحيح، يقول: «واعلم أنّ الدّاء الدّويّ، الذي أعيا أمره في هذا الباب، غلط من قدّم الشّعر بمعناه، وأقلّ الاحتفال باللّفظ... واعلم أنّا وإن كنّا إذا اتّبعنا العرف والعادة وما يهجس في الضّمير وما عليه العامّة، أرانا ذلك أنّ الصّواب معهم ...، فإنّ الأمر بالضدّ إذا جئنا إلى **الحقائق**،

(1) **الخصائص**: ابن جني، ص ص 1/215-221.
(2) **نفسه** 1/215.
(3) **نفسه** 1/216.
(4) **نفسه** 1/150.

وإلى ما عليه **المحصّلون**؛ لأنّا لا نرى متقدّماً في علم البلاغة، مبرّزاً في شأوها، إلاّ وهو ينكر هذا الرّأي ويعيبه... واعلم أنّهم لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه من حيث جهلوا أنّ المعنى إذا كان أدباً وحكمةً وكان غريباً نادراً، فهو أشرف ممّا ليس كذلك، بل عابوه من حيث كان من حكم من قضى في جنسٍ من الأجناس بفضلٍ أو نقصٍ، أن لا يعتبر في قضيّته تلك، إلَّا الأوصاف التي **تخصّ ذلك الجنس وترجع إلى حقيقته**... ومعلومٌ أنّ سبيل الكلام سبيل التّصوير والصّياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشّيء الذي يقع التّصوير والصّوغ فيه، كالفضّة والذّهب يصاغ منهما خاتمٌ أو سوارٌ. فكما أنّ محالاً إذا أنت أردت النّظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضّة الحاملة تلك الصّورة، أو الذّهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصّنعة، كذلك محالٌ إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزيّة في الكلام، أن تنظر في مجرّد معناه ... وهذا قاطع، فاعرفه ... وإذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كلّ مبلغٍ، ويتشدّد غاية التّشدّد، وقد انتهى في ذلك إلى أن جعل العلم بالمعاني مشتركاً... فأعلمك أنّ فضل الشّعر بلفظه لا بمعناه، وأنّه إذا عدم الحسن في لفظه ونظمه، لم يستحقّ هذا الاسم بالحقيقة»[1].

ففي هذا النّصّ – الذي قد تسوغ لنا أهمّيّته التّطويل في نقله – يؤكد لنا عبد القاهر أنّ التّصوّر الذي أعرب عنه الجاحظ في نصّه تصوّر صحيح، وعليه جماع (المحصّلين) من النّقّاد والبلاغيّين، وهو ليس رؤية ذاتيّة تجهل قيمة المعاني، بل تصوّر موضوعيّ قائم على (الحقائق)، أي: حقيقة الشّعر من حيث إنّه جنس أدبيّ جوهره (التّصوير والصّياغة)، أو كما جاء عند الجاحظ: (صناعة وضرب من النّسج وجنس من التّصوير)، ومن ثمّ فإنّ الشأن فيه في الكيفيّة التي تتجلّى فيها المعاني من خلال هذا

(1) **دلائل الإعجاز** ص ص 251–257.

الجوهر. فالمعاني كما يقول الآمديّ: «موجودة في كلّ أمّة وفي كلّ لغة»[1]، و«يستوي الجاهل فيها والحاذق»[2] عند ابن رشيق، ويؤكد ذلك ابن الأثير فيقول: «ولقد رأيت كثيراً من الجهّال الذي هم من السُّوقة أرباب الحرف والصّنائع، وما منهم إلا من يقع له المعنى الشّريف، ويظهر من خاطره المعنى الدّقيق، ولكنّه لا يحسن أن يزاوج بين لفظتين»[3]. فالنّاس على اختلاف طبقاتهم مشتركون في المعاني، إلا أنّ العبرة في امتلاك المقدرة على استخراجها وصياغتها وتصويرها على نحو فنّيّ يحقّق معاييره الشّعريّة.

وإن كان الباعث للشّبهة كثرة ترديد النّقّاد كلمة "اللّفظ"، فقد تابع عبد القاهر الكشف، فبيّن لنا أنّهم «لم يوجبوا للّفظ ما أوجبوه من الفضيلة، وهم يعنون **نطق اللّسان وأجرس الحروف**، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا: "اللفظ"، وهم **يريدون الصّورة** التي تحدث في المعنى، والخاصّة التي حدثت فيه، ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال: وذهب الشّيخ إلى استحسان المعنى ...»[4]، وبيّن أنّ هدفهم من ذلك هو أن يفرّقوا «بين أصل المعنى، وبين ما هو **زيادة** في المعنى، **وكيفيّة** له **وخصوصيّة** فيه»[5]، أي: بين أصل المعنى – المطروح في الطّريق، والذي يشترك النّاس فيه[6] – و«صورة المعنى»[7] التي تظهر فيها الصّناعة والخصوصيّة والقدرة على التّعبير، وأكّد عبدالقاهر

(1) **الموازنة** 423/1.

(2) **العمدة** 127/1.

(3) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: ابن الأثير، ص 98/1.

(4) **دلائل الإعجاز** 482.

(5) **نفسه** 266.

(6) يفهم من قول الجاحظ: "المعاني مطروحة .." – بدعامة تفسير عبد القاهر – أنّه يريد أصول المعاني؛ مثل الشّجاعة والجبن والكرم والبخل. نحو قوله عن أحدهم: «كان يفتن بالحزم والعزم، وفي الحلم والعلم، وفي جميع **المعاني**». **البخلاء**: الجاحظ، ص 195.

(7) **دلائل الإعجاز** 366.

في أكثر من موضع أنّ هذه الصّورة ليست «لفظ [ـاً] وصدى صوت»[1]، لكنْ «شيئاً **طريقُ معرفته العقل دون السّمع**»[2].

والمستخلص المستفاد أنّ كلّ ما قد يوحي به كلام النّقّاد – الجاحظ وغيره – من عناية باللّفظ، هو في أصله عناية بالمعنى وحديث عنه، وبحثٌ فيما تحدثه الصّياغة والتّصوير فيه من إعادة تشكيل بطريقة فنّيّة تضفي عليه خصوصيّة وتفرّداً وغرابة وجدّة، وهي أشياء من شأنها أن تنقله من حيز المعاني السّاذجة الغفل التي يبلغها الإنسان بالحقيقة، إلى عالم الفنّ والشعر، فيغدو معنى شعريّاً تظهر فيه قدرة الشّاعر على الخلق والإبداع والكشف، ويكون من ثمّ مناط القيمة والاستحسان والتّقييم. وأمّا المعاني الغفل التي لا يعدو عمل صاحبها فيها أن أضاف إليها وزناً وقافية، مع خلوّ عبارتها من القيمة الفنّيّة (الصّناعة والصّياغة والتّصوير...) التي تعطي الكلام المنظوم صفة الشّعريّة، فهي ليست للمدارسة والتّقييم، ليس لعيبٍ فيها أو التفات عن قيمتها، بل لأنّها لم ترق لأن تكون شعريّة.

ويتبقّى لنا بعد ذلك مسألة مهمّة ترتبط بهذه القضيّة وتحتاج إلى مناقشة وتحرير، وهي الأقوال التي ينعي أصحابها على النّقّاد والبلاغيّين بأنّ دائرة البحث عندهم محصورة بطرائق التّعبير (الألفاظ)[3]، وعليه «يذهبون في ذلك إلى تناسي المعاني»[4]، فلا نجد عندهم مباحث خاصّة تعنى بوضع قواعد معنويّة للأغراض الشّعريّة، ولا نجد منهم عناية بطرائق «الإيجاد أو الخلق»، مثل البلاغة الكلاسيكيّة الأوروبّيّة[5]. ولقائل أن يقول أيضاً: لماذا لم يخصّ الجاحظ المعنى بوصف معين في عبارته، بأن يقول مثلاً: "وإنّما الشّأن

(1) **نفسه** 366.
(2) **نفسه** 486.
(3) ينظر: **فن القول** 97.
(4) **النقد الأدبي الحديث** 259.
(5) ينظر: **فن القول** 10.

في تخيّر اللّفظ .. وأن يكون المعنى شريفاً رفيعاً"؟ ولو أنّه نوّه بالمعنى لجنّب نفسه الشّبهة بالميل إلى اللّفظ على حساب المعنى.

والحقيقة أنّ عزوف العلماء عن هذا الباب، نبع من رؤية عالية من الموضوعيّة والأخذ بروح العلم، أساسها –كما فسّر عبد الحكيم راضي –: «أنّ البلاغيّ لم يشأ أن يعلّق بحثه بالأفكار والقيم، وهي تخضع لنظرة نسبيّة، وولّى وجهه شطر ما هو قابل للبحث والمناقشة والتّعليم، وهو لغة الأدب وكيفيّة التعبير عن المعاني والأفكار أيّاً كانت. [ثمّ] إذا كانت عمليّة الإنشاء عمليّة إبداعية، فمن ذا الذي يعطي لنفسه الحقّ في إملاء أو تحديد الأفكار والقيم التي يكون على الأديب أن يُلمّ بها عند تصدّيه للقول في هذا الموضوع أو ذاك؟!»[(1)].

ويمكن لنا أن نفصّل أكثر في أسباب هذا العزوف، وأن نرجعه إلى جملة من الحقائق التي وعى النّقّاد لها، ونصّوا عليها في معالجتهم لقضايا المعنى، أهمّها:

1) أنّ المعاني من مواهب الله تعالى، فلا تأخذ باكتساب، ولا بتعلّم العلم[(2)]، ولذلك يستحيل شقّ طريق إليها. يقول ابن الأثير: «إنّ المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالإشارة إلى طريق يُسلك فيها؛ لأنّ ذلك ممّا لا يمكن. ومن هاهنا أضرب علماء البيان عنه، ولم يتكلّموا فيه كما تكلّموا في غيره. وكيف تتقيّد المعاني بقيد، أو يفتح إليها طريق تُسلك، وهي تأتي من فيض إلهيّ بغير تعليم؟!»[(3)].

(1) **ظاهرة الخلط** 4.
(2) ينظر: **المثل السائر** 98/1.
(3) **نفسه** 55/2.

2) أنّ المعاني ممتدّة إلى غير نهاية[1]، وهي تختلف من بيئة إلى أخرى، وتتطوّر من زمان إلى آخر[2]، ولذلك فإنّ حصر المعاني بقوانين كلّيّات تستوعبها عسير متعب، بل متعذّرٌ[3]، ومن شأن ذلك أن «يحجر على الخواطر، وهي قاذفة بما لا نهاية»[4].

3) أنّ المعاني وليدة الفهم وصوغ العقل[5]، ومن شأن إملائها أو رسم خطة لها أن يفتح باب الحمق وبلادة الفكر[6]، ويتناقض مع الحديث الذي طالما ردّده النّقّاد أنفسهم، عن القرائح والطّباع والأفهام، وما تجود به «نفوس المميّزين»[7].

4) أنّ الشعر إنّما «سُمِّي شعراً من قولهم شعرت، بمعنى "فطنت"»[8]، فالشاعر «من غير تعلم ... يتيقّظ للمعاني ويشعر بها»[9]، والفطنة والتيقظ تعني أنّ الشعر «إلهام، وكشف، وتنبؤ، تعني أنّه حدس»[10]. فتحديد المعاني على نحو مسبق أمر يخالف حقيقة الشعر، ويجعل منه نظماً لا شعراً.

5) أنّ المعاني المفردة المجرّدة «لا يظهر بها حكم»[11]، فـ«المعنى ليس يشرف

(1) ينظر: **البيان والتبيين** 76/1، **ومواد البيان:** أبو علي الكاتب، ص 80، **ودلائل الإعجاز** 395.. ويعلل العلوي الفكرة فيقول: «وإنما كانت المعاني بلا نهاية؛ لأنها غير موجودة وإنما هي حاصلة في الذهن، وما وُجِدَ [يريد الألفاظ] فقد تناهى، فأمّا ما لا يوجد فليس له غاية، كالحقائق الذهنيّة والأمور المتصوّرة»، **الطراز المتضمن أسرار البلاغة:** يحيى العلوي، ص 151/2.

(2) ينظر: **العمدة** 236/2-238.

(3) ينظر: **الصناعتين 148، وسر الفصاحة:** ابن سنان الخفاجي، ص 234، **ومواد البيان** 80.

(4) **المثل السائر** 219/3.

(5) ينظر: **بيان إعجاز القرآن:** الخطابي، ص 36، و**سر الفصاحة** 234.

(6) ينظر: **الإمتاع والمؤانسة:** أبو حيان التوحيدي، ص514.

(7) **مواد البيان** 15.

(8) **سر الفصاحة** 286. وينظر: **البرهان في وجوه البيان** 130، **والعمدة** 116/1.

(9) **المقامة الحصيبية في المفاضلة بين الفنون:** القاضي الرشيد أحمد ابن الزبير، ص 91.

(10) **مفهوم الشعر في تراثنا الأدبي:** عدنان أحمد، ص 39.

(11) **النُّكت في إعجاز القرآن:** الرُّماني، ص 78. وينظر: **رسائل الجاحظ** (الرسائل السياسية) 342.

بـأن يكـون مـن معـاني الخاصّـة، وكـذلك لـيس يتّضـع بـأن يكـون مـن معـاني العامّة»[1]، بل «لكلّ مقام مقال»[2]، فحتّى يوظّف المعنى في غرض معيّن، ومقام خاصّ، وينتظم في صورة وسياق يظهر حكمه، ويكتسب قيمة ما.

فهذه الحقائق – التي آمن النّقّاد بها، وعملوا على ترسيخها في الأذهان من خلال تكرير القول فيها – تجعل من أيّ مسعى تجاه المعاني على نحو يسبق توظيفها الفنّيّ من قبل الشّاعر، سواء عن طريق حصرها أو رسم خطّة لها، يفضي إلى نظريّة فاسدة قاصرة، لا تتّفق مع (حقيقة المعاني)، ولا مع (حقيقة الشّعر)، ولا تساير تطوّره[3].

ثانياً – أهمّيّة المعنى الشّعريّ:

ظهر لنا في الكلام على عناية النّقّاد بالألفاظ أنّ المقصود بها الصّياغة والتّصوير، وأنّ الكلام عليها لا يتعارض مع قيمة المعاني، بل هو في حقيقته في خدمة المعاني التي يروم الشّاعر التّعبير عنها، في إحداث خصوصيّة فيها تكسبها مزيّة، وتدخلها باب الشّعر. وإن كان الكلام في ذلك يدور أغلبه ضمن حدود مفهوم الشّعر عند النّقّاد، فإنّ متابعة النّظر في جهودهم النّقديّة التطبيقيّة تظهر لنا عناية فائقة منهم بالمعاني الشّعريّة، تؤكّد صحّة ما ذهبنا إليه، وتؤكّد أنّها تنزل منزلة عالية الأهمّيّة في فكرهم النّقديّ، ولا يكاد كلام لهم مهما قصر إلا وللمعنى حضور فيه؛ فالمعاني هي المقصودة[4]، والمعوّل

(1) **البيان والتبيين** 136/1. وينظر: **الجامع الكبير** 69.

(2) **البيان والتبيين**136/1، **والحيوان** 19/3، **والوساطة**: القاضي الجرجاني، ص 52، **والصناعتين** 37.

(3) من دلائل نجاعة التفكير النقدي القديم في تجنب هذا المسلك، والاتجاه شطر طرائق التعبير والتصوير – وهي في أساسها بحث عن الخلق والاختراع والخصوصية كما تبين لنا – أن نظريته النقديّة في الشعر صالحة للتطبيق حتى زماننا هذا، ومصداق ذلك أنّ الدراسات النقديّة الحديثة التي تبحث في قضايا مثل: الانزياح أو المفارقة أو التناص...، كلّها ترجع إلى تلك الجهود، وتستند إليها في دراسة الشعرين القديم والحديث على السواء، على اختلاف المضامين والأفكار والأغراض وأشكال القصيدة.

(4) ينظر: **سر الفصاحة** 214.

عليها[1]، ومدار الأمر على فهمها[2]، ومن الواجب عندهم –على المبدع والمتلقّي بآن–: تحصينها وحياطتها، وصونها وتوقيرها، ونصرتها والدّفاع عنها[3]، وذلك وعياً وإيماناً بحقّ المعنى، ووفاء بوزنه[4]. ويضفي عبد القاهر على هذه المنزلة مزيداً من التّشريف، عندما يصف حال من يخلّ بهذه الواجبات بأنّه دخل في «عقوق المعنى»[5]، وهو توصيف نقديّ رفيع من عبد القاهر، يضع المعاني – من خلال استخدامه مفردة لها وقع في الثقافة العربية والإسلامية – في مرتبة "الوالدين" اللّذين إن أخلّ بالواجب تجاههما حدث العقوق، وكذا المعاني لا يصحّ بحال من الأحوال التّقصير في التّعامل معها، بل يتوجّب أن تنال كلّ الإحسان والعناية.

وتظهر هذه المنزلة المميّزة في سياقين آخرين عندهم، الأوّل: عندما يحاولون بيان العلاقة بين اللّفظ والمعنى، إذ تتعدّد الأوصاف الجماليّة التي تعلي من شأن المعنى وقيمته، إذ الألفاظ أجساد، و«المعاني **أرواح**»[6]، فإذا خلا الكلام من المعنى كان مثل الإنسان الميت، والألفاظ كالحلل والمعارض، و«المعاني **كالحقائق والجواهر**»[7]، والألفاظ أوعية، و«المعاني **أمتعة**»[8]، والألفاظ تابعة خادمة، وأمّا المعاني فهي متبوعة مكرّمة مخدومة[9]. والسّياق الآخر: سياق الحديث عن مواضع المعاني، إذ ينزلونها في مواقع مستورة عزيزة؛ فهي بحسب توصيفهم في: "مكامنها" و"مدافنها"، و"مسجونة في مواضعها"

(1) ينظر: **الوساطة** 473.
(2) ينظر: **الحيوان** 542/5.
(3) ينظر: **الصناعتين** 263، **الخصائص** 223/1–224، **وأسرار البلاغة** 8.
(4) ينظر: **البيان والتبيين** 92/1–93، **وعيار الشعر** 21–22، **والصناعتين** 35.
(5) **أسرار البلاغة** 14.
(6) **البيان والتبيين** ، و**عيار الشعر** 16، **والصناعتين** 179، **ومواد البيان** 79.
(7) ينظر: **المقابسات**: أبو حيان التوحيدي، ص 169–170.
(8) **رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم**: أبو أحمد الحسن العسكري، ص 93.
(9) ينظر: **الخصائص** 150/1، **وأسرار البلاغة** 8، **ودلائل الإعجاز** 52.

و"مخابيها"[1]، ولذلك يعلون من شأن الألفاظ؛ لأنّها فاعلة البيان القادر على استنباط المعاني واستخراجها من هذه المواضع.

ويمكن لنا تلخيص أبرز المظاهر التي تجلت من خلالها أهمّيّة المعاني الشّعريّة عند النّقّاد والبلاغيّين، في النّقاط الآتية:

1) **عناية النّقّاد الفائقة بتأصيل المعاني الشّعريّة، وتتبّع سيرورتها:** فقد توفَّر النّقاد على ذلك، فأفردوا مساحات واسعة من مؤلّفاتهم في تتبّع أصول المعاني وسيرها من شاعر إلى غيره، ومن عصر إلى آخر، حتّى إنّهم اشترطوا على من يريد نقد الشّعر أن يكون عالماً بتداوليّة المعاني، وتطوّرها ونموّها الفنّيّ[2]، تدفعهم إلى ذلك رغبة في الكشف عن "أوّل من نطق بالمعنى"، ومن أخذه من الشّعراء "فعلله"، أو "زاد عليه" زيادة حسّنته، أو من أخذه و"قصّر" فأساء إليه[3]. وفوق جهودهم هذه التي وردت في مؤلّفاتهم النّقديّة العامّة أفردوا لذلك مؤلّفات خاصّة أيضاً، وهي مؤلّفات يمكن تصنيفها في نمطين:

- **أحدهما:** ذو بعد نقديّ تناول المعاني في إطار سابق ومسبوق، عبر مصطلحات منها: "السّرقة، والأخذ، والإغارة..". ومنه كتاب: (سرقات أبي نواس) لمهلهل بن يموت (334هـ)، وكذلك: (المنصف للسّارق والمسروق منه) لابن وكيع التّنيسي (393هـ)[4].

(1) ينظر: **البيان والتبيين** 75/1، **والحيوان** 141/1، **وأسرار البلاغة** 3.

(2) ينظر: **أخبار أبي تمام:** أبو بكر الصولي، ص 38.

(3) تنظر أمثلة في: **التشبيهات:** ابن أبي عون، ص 75–76، **وأخبار أبي تمام** 73، **والوساطة** 259، **والصناعتين** 221–222.

(4) لمزيد بيان حول هذا النمط من التأليف وما صنف فيه، ينظر: **مشكلة السرقات في النقد العربي – دراسة تحليلية مقارنة:** محمد مصطفى هدارة، ص ص 75–181.

- **والآخر**: ذو بعد تسجيليّ تأريخيّ للمعاني، اختصّ قسم منه بأغراض شعريّة محدّدة، مثل كتابي الشّريف المرتضى: (الشّهاب في الشّيب والشّباب)، و(طيف الخيال) الذي أداره على معاني الغزل. وتنوّعت موضوعات قسمه الآخر، مثل: (كتاب الأشباه والنّظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليّين والمخضرمين) للخالديّين، وكتاب: (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكريّ. وهذا الأخير يمكن عدّه أهمّ ما صنّف في هذا الباب، وقد سعى أبو هلال فيه – كما صرّح في مقدّمته – إلى جمع «أبدع ما روي في كلّ نوع من أعلام المعاني»[1]، فعرض للمعاني في كلّ غرض شعريّ، وتابع ماهياتها وتوالدها وسيرورتها وطرق انتقالها في الشّعر، وبيّن الشّعر وغيره من الأجناس، على نحو كشف من خلاله ما يتمتّع به الشّعر العربي من ترابط ووصل؛ «فالمعاني فيه متماسكة سائرة؛ لأنّها المعاني التي ارتضاها العربيّ، وحافظ عليها عبر رحلته الطّويلة، وما كان لشاعر أن يدابرها أو يبتعد عنها»[2]. وجهود أبي هلال في كتابه هذا – وهو أضخم ما وصل إلينا من كتبه – فوق أنّها تكشف أهمّيّة المعاني – على نحو عامّ، والشّعريّة على نحو خاصّ – عنده، وشغفه بتتبّعها وتأصيلها، تكشف لنا رغبة مضمرة منه في إبراز دورها الفاعل في بناء ثقافة الإنسان العربيّ، وإسهامها – عبر تناميها – في تنامي هذه الثّقافة.

2) **أنّ المعنى هو أساس الجدل في الحركات النّقديّة الكبرى**: إذ يلاحظ الباحث أنّ معظم نشاط النّقّاد دار حول شعر شعراء معدودين قياساً على المدوّنة الشّعريّة الضّخمة، وهذا الشّعر غالباً ما يرجع إلى الشّعراء المبرّزين في المعاني، ولا سيما أبي تمّام والمتنبّي، اللّذين استحوذت الخصومات النّقديّة حول شعرهما على قسم كبير من مساحة التّراث النّقديّ، وهي خصومة كان المعنى المحرّك الأساس فيها؛ فأبو تمّام

(1) **ديوان المعاني**: أبو هلال العسكري، ص 101/1.

(2) **الخطاب النقدي (التراث والتأويل)**: محمد عبدالباسط عيد، ص176.

عند أنصار شعره محسن مقدّم على غيره؛ لأنّه «ليس أحد من الشّعراء يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها مثله»[1]، ولأنّه بات على إثر ذلك «قِبْلة أصحاب المعاني»[2] من الشعراء؛ يأخذون من معانيه وينسجون عليها، وأمّا عيبه عند خصومه فمن الجهة نفسها، في أنّ «كثيراً ممّا أتى به من المعاني لا يعرف، ولا يُعلم غرضه فيها ... إلا بالظّنّ والحدس»[3]. وعلى هذه الشاكلة دار خلاف نقّاد شعر أبي الطّيّب، فرفعه أنصاره بسبب «اختراعه للمعاني، وتغلغله فيها، واستيفاؤه لها»[4]، وهوّن خصومه من شأنه بحجّة أنّ كثيراً من هذه المعاني مختلّ فاسد، أو مُحَال، أو مسروق [5]. فالمعنى هو مجال الاستحسان أو المؤاخذة، وهو الشّاغل للنّقاد في كلتا الحالتين.

3) **أنّ المعاني معيار للحكم على الشّاعر، ومرتكز في وصف جودة شعره:** وهو ما ظهر لنا في النّقطة السّابقة، ويظهر على نحو أعمّ وأكشف في أنّ النّقّاد إذا أرادوا وصف اقتدار شاعر وجودة شعره استفتحوا كلامهم بنقد معانيه على الجملة، فقالوا عن امرئ القيس بأنّه: «الفاتح أبواب المعاني»[6]، وفي تفضيل زهير بن أبي سلمى بأنّه: «أجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق»[7]، وقالوا في صفة جودة شعر بعض الشّعراء: فلان: «عذب المعاني»[8]،

(1) **أخبار أبي تمام** 53.
(2) **الوساطة** 19-20.
(3) **الموازنة** 139/1.
(4) **الفسر**: ابن جني، ص 4/1.
(5) ترجع عيوب شعر المتنبي عند خصومه في مجملها إلى المعنى، ينظر: **الوساطة** 415.
(6) **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر**: ابن أبي الإصبع المصري، ص 233.
(7) **طبقات فحول الشعراء**: ابن سلّام الجُمحي، ص 64/1.
(8) **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني، ص 352/8.

أو «دقيق المعاني»[1]، أو «لطيف المعاني»[2]، أو حاذق «في صيد المعاني»[3]، أو «جزل المعاني»[4]، أو «يعطي المعنى حقّه»[5]. وعلى نقيض ذلك نراهم يأخذون على بعض الشّعراء بأنه: «عليل المعاني»[6]، أو «ضئيل المعاني»[7]، أو «قليل المعنى»[8]. وممّا يدخل في هذا الباب إشادة البحتريّ بأبي تمّام بأنّه «أغوص على المعاني»[9] منه، وذلك عند الصّوليّ «دليل على فضل أبي تمّام ورياسته»[10] في الشّعر، ولأجل ذلك نجد ابن يموت (334هـ) يتّهم أنصار أبي نواس أنّهم «لا يسمعون شعراً حسناً في معناه، أو معنى نادراً في فحواه، إلا نسبوه إليه، وخلعوا فضيلته عليه»[11]. ويظهر هذا القول ما للمعاني من أهمّيّة في ميزان النّقد القديم، وأنّها مناط القيمة والاستحسان فيه. وما تجدر الإشارة إليه أنّ آراء النّقّاد هذه في اعتماد المعاني مرتكزاً في الحكم على جودة الشّعر وقوّة شاعريّة صاحبه، لا تتناقض مع الحديث السّابق الذي رفض النّقّاد من خلاله الحكم على جودة الشّعر بوساطة المعاني؛ إذ كان حديثهم حينذاك عن المعاني التي لا يعدو الفارق بينها وبين المعاني خارج الشّعر أن جاءت موزونة مقفاة، وأمّا المعاني المقصودة هنا فهي المعاني الشّعريّة الخاصّة، وتؤكّد ذلك الأوصاف الجماليّة التي أسندها النّقّاد إليها، في نحو: "عذب المعاني، ولطيف، وجزل، ودقيق..."، فهذه الأوصاف تشير إلى أنّ حديث

(1) **نفسه** 383/16.

(2) **معجم الشعراء:** أبو عبيدالله المرزباني، ص327. و**الأغاني** 2/4، 352/8.

(3) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**: أبو منصور الثعالبي، **ص** 155/5.

(4) **كتاب أعلام الكلام:** ابن شرف القيرواني، ص48.

(5) **العمدة** 133/1.

(6) **الأغاني** 52/23.

(7) **المنصف في السارق والمسروق منه:** ابن وكيع التنيسي، ص 484

(8) **أمالي المرتضى**: الشريف المرتضى، ص 518/1.

(9) **الموازنة** 12/1.

(10) **أخبار البحتري:** أبو بكر الصولي، ص 149.

(11) **سرقات أبي نواس:** مهلهل بن يموت، ص32.

النّقّـاد يتّجـه نحـو المعـاني التـي أجـاد الشّـعراء خلقهـا عـن طريـق لغـة الشّـعر الفنّيّـة الخاصّة القائمة على الصّياغة والتّصوير والتّخييل كما أشرنا سابقاً، وهي اللّغة التي استطاع الشّاعر من خلالها "صيد المعاني"، ومكّنته من أن "يغوص" فيها، فيستخرج منها ما هو عذب ولطيف وجزل ودقيق.

4) **أنّ الشّاعر المحسن عندهم هو الذي يجيد التّصرّف في المعاني:** فقد استحسن النّقّاد الشّاعر الذي يكون في قواه فضل السّلوك في أغراض الشعر جميعها، والتّصرّف في مختلف المعاني، فيجيد المدح والهجاء والرّثاء والمفاخرة...، ويحسن المراوحة بين الجدّ والهزل إن لزم ذلك، وهو عندهم مقدّم على الذي يجري على وتيرة واحدة لا يتغيّر عنها، واستشهدوا على ذلك بشعر جرير وأبي نواس وأبي تمّام المتنوّع، وفضّلوه على غيره [1]، وعابوا على ذي الرُّمَّة – مثلاً – «أنّه كان لا يجيد المدح والهجاء»[2]. ولا يقف الأمر عند حدّ التّنويع في الأغراض، بل على الشّاعر أن يظهر مقدرة في التّصرّف في كلّ غرض أيضاً، بأن يأتي فيه بمعان متنوّعة فيها جدّة وابتكار وعمق، فهم مع استحسانهم تصرّف جرير في سائر الأغراض، فضّلوا عليه الفرزدق في غرض الهجاء خاصّة، لما له فيه من معان مخترعة متغايرة[3]. والأمر يسري على المعاني الجزئيّة، ففي معنى "البكاء على الديار" ذهب الآمديّ في موازنته إلى أنّ «البحتري في هذا الباب أشعر»؛ فله فيه «تصرّف ... حسن، ومعان فيه مختلفة عجيبة، كلّها جيّد نادر، وأبو تمّام لزم طريقة واحدة»[4]. وقد أشار النّقّاد إلى أنّ

(1) ينظر: **طبقات الشعراء** 54، و**عيار الشعر** 6، و**أخبار البحتري** 108، و**البرهان في وجوه البيان**: ابن وهب الكاتب، ص 149، و**الأغاني** 383/16، و**معجم الشعراء** 183، و**الصناعتين** 32–33.

(2) **الشعر والشعراء**: ابن قتيبة الدينوري، ص 534/1.

(3) فـ«جرير يجيد النسيب، ثم لا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء: بالقَيْن وقتل الزبير – رحمه الله – وبأخته جَعْثِن وبامرأته النَّوَار، والفرزدق يهجوه في كل قصيدة بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها»، **أخبار البحتري** 175، وينظر: **الموشح**: المرزباني، ص 161.

(4) **الموازنة** 454/1.

الشّاعر قد يكون مفنّاً، يقول في كلّ شيء، فإنّه قد يغلب عليه غرض، أو يجود في غرض أكثر من آخر[1]، لذلك قدّموا بعض الشّعراء في غرض من الأغراض دون آخر، فقالوا: فلان أمدحهم، أو فلان أهجاهم، أو بيت فلان أمدح ما قيل، أو أهجى أو أغزل، وقد بيّن لنا عبد القاهر أنّ أحكام التّفضيل هذه – وهي كثيرة في كتب التراث – إنّما استُند فيها إلى المعاني الشّعرية أيضاً؛ وذلك في أن يكون الشّاعر «قد خرَّج في معاني ذلك الفنّ ما لم يُخرِّجه غيره»، يقول: «فإذا قالوا: "هو أنسب النّاس"، فالمعنى أنّه قد فطن في معاني الغزل ... لما لم يفطن له غيره، وكذلك إذا قالوا: "أمدح، أو أهجى"؛ فالمعنى أنّه قد اهتدى في معاني الزَّيْن والشَّين، وفي التّحسين والتّهجين إلى ما لم يهتد إليه نظراؤه»[2].

5) **التّأليف في شروح الدّواوين الشّعريّة وأبيات المعاني:** أوجب النّقّاد التّفتيش عن معاني الشّعر والتّنقيب والتّنقير عنها، واشترطوا على ناقد الشّعر أن يكون عالماً بمغازي الشّعراء ومقاصدهم، وعدّوا ذلك وظيفة منوطة به حتّى يستحقّ صفة النّاقد، واستنكروا عمل من يروي شعراً أو ينقده من دون أن يفهم معناه، أو يسعى إلى فهمه[3]. ولذلك لم يرضهم عمل الرّواة – المصاحب لرواية الأشعار – الذي يقتصر على شرح الغريب وإعراب المشكل؛ لأنّ ذلك لا يفي معاني الشعراء حقّها من البيان والكشف، ولا يمكن أن يقوم عليه نقد صحيح، يقول الصّوليّ: «أتراهم [الرّواة] يظنّون أنّ من فسّر غريب قصيدة، أو أقام إعرابها، أحسن أن يختار جيّدها ويعرف الوسط والدّون منها، ويميّز ألفاظها؟»[4]. وكان على إثر ذلك أن انتقلت شروح الشّعر من حيز الرّواية إلى حيز النّقد، فنهضت على أيدي أعلام النّقّاد – أمثال الصّوليّ وأبي

(1) ينظر: **طبقات فحول الشعراء** 65/1، **والشعر والشعراء** 467/1، و**الصناعتين** 32، و**إعجاز القرآن**: الباقلاني، ص 36، 120.

(2) **دلائل الإعجاز** (الرسالة الشّافيَة) 607.

(3) ينظر: **عيار الشعر** 12، **وأخبار أبي تمام** 38، 244، **والموشح** 443، **والاستدراك**: ابن الأثير، ص29.

(4) **أخبار أبي تمام** 127. وينظر: **دلائل الإعجاز** 253.

هـلال والمرزوقـيّ وغيـرهم – مرحلـة جديـدة فـي التّـأليف فـي شـروح الأشـعار، انتقـل البحث فيها من الوقوف على اللّغة والإعراب، إلى التّوسّع في شرح معاني الشّعراء، وخدمتها إلى أقصى ما يمكن؛ ببيان ما تحتمله من تعدّد في الدّلالة، وعرض نظائرها وأشباهها، وربطها بسياق قصائدها. فشرحَ الصّوليّ – مثلاً – ديوان أبي تمّام، وشرح أبـو هـلال العسـكري ديـوان أبـي محجـن الثّقفـيّ وغيـره، وابـن جنّـيّ ديـوان المتنبـي، والمرزوقـيّ ديوان حماسـة أبـي تمّـام والمفضـليات... وقد تحرّى النّقّاد فـي ذلك صـحّة التّأويل ودقّته، فأكّدوا أهمّيّة أن يكون «المشروح حسناً مستقيماً لا يخلّ بالمعنى»[1]، وأن يكون الشّـارح علـى وعـي بـأنّ «الشّـعر يحمـل معنـاه علـى أحسـن مـا يقدر عليـه تحقيقـاً أو مجـازاً»[2]، وذلـك لأنّ «التّقصـير فـي تحريـر المعنـى ضـارّ، ونقـص وانحطاط»[3]، من جهة أنّه يخلّ في توصيله، أو لما يلحق به من عيب أو تشويه.

ولأهمّيّة فهم المعنى، سلك النّقّاد في شروحهم مسلكاً خاصّاً اتّجهوا بـه نحو الأبيات المشكلة، والمصطلح على تسميتها بـ"أبيات المعاني"[4]، فسعوا إلى تأويلها وكشف ما فيها من "خبيئة" و"فائدة" من جهة، وإلى «تصحيح المعاني، وإخراجها من المناقضة والفساد إلى معنى الصّواب والحقّ»[5] من جهة أخرى، عن طريق بيان دلالتها على وجهها الصّحيح المراد.

(1) **الصناعتين** 237.

(2) **الفتح على أبي الفتح**: ابن فورَّجة البروجردي، ص59.

(3) **المقابسات** 170.

(4) بيت المعاني هو الذي «معناه غامض مستتر» [**الوساطة** 417]، و«في تعميته فائدة» [**الصناعتين** 93]. وممَّا صُنِّف في ذلك: (كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني) لابن قتيبة (276هـ)، و(معاني الشعر) للأُشْنَانْداني (288هـ).

(5) **البرهان في وجوه البيان** 119.

6) **العناية بالرّواية والتّشدّد فيها حفاظاً على صحّة المعاني:** فقد استنكر النّقّاد أغاليط الرّواة[1]، وبيّنوا ما يعرض للمعاني عليها من خلل أو تحريف[2]، وامتدحوا الرّاوي الذي «لا يخرم حرفاً، ولا يخلّ بمعنى»[3]، بل اشترطوا عليه ألّا يقتصر على رواية الأشعار من غير تفهّم ما فيها من المعاني، حتى لا يروي ما لا معنى له من جهة[4]، ولأنّ فهم معاني الشّعر المرويّ تنزّه الرّاوي عن الخطأ من جهة أخرى، ولذلك فإنّ الرّواية المتحصّلة عن الشّاعر «بمعانيه وأغراضه»، أعلى شأناً من غيرها، وحجّة على سواها، ولا سيّما في سياق الشّروح الشّعريّة[5]. وتعدّ الشّروح من أكثر المؤلّفات النّقديّة التي تتجلّى فيها قضية الرّبط بين الرّواية والمعنى، فعلى أساسها يتمّ تحديد المعنى وتوجيهه ونقده، لذلك كانت صحّة المعاني واستقامتها معياراً رئيساً لنقد الرّواية عند الشّرّاح[6]، ومستنداً في المفاضلة بين الرّوايات في حال تعذّر الوصول إلى وجه الحقيقة فيها، فدعوا إلى اختيار ما هو «أشبه وأوفق في المعنى»[7] منها، أو ما قد يكسبه جماليّة تحسّنه[8].

7) **التّخصّص بالمعاني الشّعريّة:** وممّا يذكر في سياق الحديث عن أهمّيّة المعاني الشّعريّة، ما تشير إليه كتب التّراث من وجود فِرَق وطوائف من العلماء تعلّقوا بها وتخصّصوا فيها، فوسموا بأوصاف منها: (جهابذة المعاني، ونقّاد المعاني،

(1) ينظر: **طبقات فحول الشعراء** 60/1.

(2) ينظر: **التنبيهات على أغاليط الرواة:** علي بن حمزة البصري، ص80-81.

(3) **يتيمة الدهر** 293/4.

(4) ينظر: **الموشح** 443.

(5) ينظر: **قشر الفسر:** أبو سهل الزوزني، ص3.

(6) ينظر مثلاً: **شرح الصولي لديوان أبي تمام** 200/1-238/1.

(7) **المستدرك على ابن جني فيما شرحه من شعر المتنبي:** أبو الفضل العروضي، ص 148. وينظر: **قشر الفسر** 35.

(8) ينظر: **شرح الصولي** 282/1، **واللامع العزيزي:** أبو العلاء المعري، ص 316/1.

والمعنويّون، وأصحاب المعاني، وأهل العلم بالمعاني، وأرباب المعاني)[1]. وتشير السّياقات الوارد فيها ذكرهم إلى أنّهم المقتدرون على تفسير المعاني، ولا سيّما المشكلة منها، وهم المشهورون بالقدرة على استحضار الشّواهد في مختلف المعاني الشّعريّة.

ثالثاً – أسباب أهمّيّة المعنى الشّعريّ:

يمكن أن تُفسّر هذه الأهمّيّة عند النّاقد القديم للمعاني الشّعريّة، على أنّها حالة طبيعيّة؛ لكون هذه المعاني رسالة الشّاعر ومقصد كلامه، حالها حال معاني أصناف الكلام الأخرى، في أن يكون المعوّل على مغزاها وفهم مقاصدها. إلا أنّ البحث يكشف لنا عن أسباب أخرى جوهريّة أيضاً، أوجبت على النّقّاد الاحتفاء بالمعاني الشّعريّة، والإعلاء من شأنها، وإعطاءها خصوصيّة تنفرد بها عن المعاني الأخرى. وهذه الأسباب منها ما هو مصرّح به، ومنها ما هو مستنتج مستخلص من جهودهم، وأهمّها الآتي:

1) **أهمّيّة المعنى في الفكر العربيّ والإسلاميّ:** ما يرجع إلى سببين رئيسين، الأوّل: الحاجة إلى فهم معاني القرآن الكريم – ومعاني الشّعر تعين على ذلك[2] – وإفهامها؛ وذلك لبيان مقاصده، ولأنّ أكثر ما يقع من الطعن عليه ناتج عن الجهل بالمعنى[3]. والثّاني: الإيمان بقيمة المعنى ووظيفته في حياة الإنسان؛ بجعله قادراً على الإدراك والفهم والتّحليل والتّفكّر في سائر شؤونه، ذلك لأنّه إذا «بعد من المعاني قلّ نصيبه

(1) ينظر: **البيان والتبيين** 75/1، 31/4، و**رسائل الجاحظ** (الرسائل الأدبية) 208، و**الوساطة** 32، **والرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي**: أبو علي الحاتمي، ص8، **ويتيمة الدهر** 183/1، **ونصرة الثائر على المثل السائر**: الصفدي، ص 81، 166.

(2) ينظر: **العمدة** 30/1، و**رسالة في الدفاع عن الشعر**: الطيب بن علي بن عبد، ص 52.

(3) ينظر: **إعجاز القرآن** 245.

من العقل، ومن قلّ نصيبه من العقل كثر نصيبه من الحمق»[1]، فالعقول إذا «تعطّلت عن النّظر وعدمت الفكر والغوص على المعاني، تبلّدت وتبلّهت وانقطعت عنها مادّة كلّ خير»[2]، وأمّا تأمّل المعاني وإنعام النّظر فيها، فإنّه يبعث الحركة والحياة في العقول[3]، فيجري ذلك مجرى «تأدّب ورياضة»[4] لها، في حفظ سلامتها، وفي تقويتها وتطويرها.

2) **أنّ البلاغة العربيّة في أصلها مدارها المعنى:** والرّاسخ في أذهان العلماء – جيلاً من بعد جيل – أنّ الكلام البليغ هو الذي يكون معناه – مع إيجاز عبارته وحسن معرضه – غزيراً مفيداً، ومفهوماً واضحاً، ومستوفياً للمقصود، ومصيباً للغرض[5].

3) **ارتباط وظيفة الشّعر وقيمته عند العرب بمعناه ومضمونه:** إذ ردّد النّقّاد القول في أنّ «الشّعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها»[6]، وأشاروا إلى فضله في حفظ أنساب العرب وتواريخها وأيّامها ووقائعها ومآثرها ومناقبها، وفي ما احتواه من علوم الحيوان والطّبيعة[7]، وهي أشياء كلّها تتّصل بالمعاني والمضامين الشّعريّة، وتعدّ فيما نحسب من أهم ما حفّز النّقّاد إلى العناية بالمعاني، والحرص على تأويلها وتأصيلها؛ إذ وعوا عظيم أمرها في الشّعر، وإسهامها

(1) **الإمتاع والمؤانسة** 514.

(2) **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:** أبو علي ابن يعقوب مسكويه، ص187.

(3) يعلل ابن فورَّجة شرحه بعض أبيات المتنبي المشكلة في أنّه: «لا شيء أفتق للخواطر من استنباط المعاني من مهاجسها، ولا أبعث للقرائح من استثارتها من مكامنها». **الفتح على أبي الفتح** 36.

(4) **التشبيهات** 2. وينظر: **البرهان في وجوه البيان** 119، و**تهذيب الأخلاق** 187.

(5) ينظر في حدود البلاغة على سبيل المثال لا الحصر: **البيان والتبيين** 96/1، 97، 106، و**البرهان في وجوه البيان** 119، 129، و**الموازنة** 424/1،380، و**ديوان المعاني** 414/1، و**الصناعتين** ص ص 19–29، و**العمدة** 190/1، و**دلائل الإعجاز** 43،400، و**الجامع الكبير** 79، 81، و**الطراز** 12/1.

(6) **الصناعتين** 156. وينظر: **الحيوان** 72/1–74، و**الوساطة** 15.

(7) ينظر: **طبقات فحول الشعراء** 136/1، و**البيان والتبيين** 241/2، و**الشعر والشعراء** 636/1.

فـي بنـاء الثّقافـة العربيّـة، فضـلاً عن أثرهـا فـي رفعـة الشّـعراء، وفـي خلـود نصوصـهم الشّعريّة التي ستغدو بفعل مضامينها وثائق تاريخيّة تؤرخ أخبارهم وتجاربهم وأفكارهم ورؤاهم.

4) **قيمـة المعنـى الشّـعريّ بذاتـه:** وذلـك لمـا يلقـاه الشّـاعر مـن معانـاة فـي إنتاجـه، فهـذه المعاناة ترفع من قيمة المعنى بذاته، فضـلاً عمّا ينبغي أن يكون لـه فـي نفس المتلقي من قيمة تقابل ذلك، يقول عبد القاهر: «إن توقّفت أيّها السّامع للمعنـى إلـى الفكر فـي تحصـيله، فهـل تشـكّ أنّ الشّـاعر الـذي أدّاه إليـك... قـد تحمـل فيـه المشـقّة الشّـديدة، وقطـع إليه الشُّقَّة البعيدة، وأنّه لم يصل إلى درِّه حتّى غاص، ولم ينل المطلوب حتّى كابد منـه الامتنـاع والاعتيـاص؟ ومعلوم أنّ الشّـيء إذا علم أنّـه لم ينل فـي أصـله إلا بعد التّعب... كان للعلم بذلك من أمره من الدّعاء إلى تعظيمه، وأخذ النّاس بتفخيمه ما يكون بمباشرة الجهد فيه، وملاقاة الكرب دونـه، وإذا عثرت بالـهُوَيْنَى على كنز من الـذّهب لـم تخرجـك سـهولة وجده إلـى أن تنسـى جملـةً أنّـه الـذي كـدَّ الطّالـب وحمَّـل المتاعـب»[1]. فـالمعنى عظـيم بذاتـه، وهـو وإن حصـل بسـهولة مـن قبـل متلقّيـه، فـإنّ قيمته لا تخفت، بل هو كالذّهب الذي يحمل قيمته بذاته.

5) **قيمـة المعنـى الشّـعريّ المرتبطـة بطريـق الوصـول إليـه:** فالمعاني الشّـعريّة يعمد فيها إلى التّدقيق والتّلطيف، ومنها ما هو صعب مشكل، ومنها ما قد تتعدّد دلالته وتتّسع، فلا يتحصّل إلا بعد طلب واجتهاد، وهو ما أشار إليه عبد القاهر في نصّه السّابق، وجعلـه دلـيلاً علـى سـموّ المطلـب /المعنـى، إذ «يصـير المفضـيّ إليـه والمطـلّ عليـه

(1) **أسرار البلاغة** 145.

بمنزلة الفائز بذخيرة خافية استثارها، والظّافر بخبيئة دفينة استخرجها واستنبطها»[1]، فيكتسب المعنى بذلك قيمة وأهمّيّة من جهة أنّه لم يعط فحواه إلا بعد اجتهاد في طلبه، ومن جهة ما يحدثه في نفس المتلقي من لذّة ومتعة في الوصول والكشف.

6) **عناية الشّعراء أنفسهم بالمعاني:** ولا سيّما الشّعراء المحدثين، الذين وعوا ما للمعاني من أهمّيّة وقيمة، فحرصوا على أن يقدّموا (ذهب المعاني، وعيونها، وأبكارها)[2]، فـ«زادوا معاني ما مرّت قطُّ بخاطر جاهليٍّ ولا مخضرم ولا إسلاميّ »[3] كما يرى ابن رشيق، وهو أمر يظهر ما بين الشّعر ونقده من علاقة تفاعلّية، فالشّاعر يعتني بالمعاني، ويجتهد في اختراعها والسّبق إليها من جهة أنّ اقتداره على ذلك معيار للحكم على جودة شعره، والنّاقد يعلي من شأن المعاني من جهة أخرى؛ كونها ميدان المنافسة بين الشّعراء، ودليلاً في الكشف عن مقدرة الشّاعر وقوّة شاعريّته.

7) **الإشادة بتبحّر الشّعراء العرب في المعاني:** والتّنبيه على أنّهم «أرقّ طبعاً من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته»[4]، وذلك في إشارة من النّقّاد إلى الوعي والفهم والذّكاء الذي يتمتّع به الشّاعر العربيّ، وما تتميّز به معانيه من تنوّع وعمق فكريّ قد يتفوّق به على شعراء قوميّات أخرى[5].

---

(1) **الفرق بين المترسل والشاعر**: أبو إسحاق الصابئ، ص 113.

(2) أشار أبو تمام إلى ذلك صراحة في شعره، يقول [ديوانه 29/1]: [من الكامل]

عِنَبِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَكَبَت لَـها ذَهَبَ المعاني صاغَةُ الشُعَراءِ

وينظر أيضاً: ديوانه 380/1، 308/4 .

(3) **العمدة** 238/2.

(4) **عيار الشعر** 16.

(5) يعتدُّ حازم بذلك، وينقل عن ابن سينا رأيه في تفوق الشعر العربي على اليوناني المحدود المعاني والأغراض، وأنّ أرسطو لو وجد في شعر قومه اليونان ما عند الشعراء العرب من معان متعددة في دلالاتها وأغراضها

8) **سـلطة المعـاني الشّـعريّة علـى المجتمـع العربـيّ حينـذاك:** ولا سـيّما معـاني المـدح والهجـاء القـادرة علـى الرّفـع والخفض، حتـى إنّـه «ربّمـا قـال الشّـاعر فـي هجائـه قـولاً يعيب بـه المهجوَّ، فيمتنـع من فعلـه المهجوُّ، وإن كـان لا يلحق فاعلـه ذمّ، وكذلك إذا مدحـه بشـيء أولـع بفعلـه، وإن كـان لا يصـير إليـه بفعلـه مـدح»[1]، وذلـك بفعل اتّسـاع تأثير المعاني الشّعريّة، وفاعليتها في نفوس أفراد المجتمع.

9) **الاسـتجابة لحالـة اجتماعيـة عامّـة تُعنـى بمـذاكرة معـاني الشّـعراء،** وتسـأل عنهـا، وتسعى إلى بيان أصولها: وهي حالة مترتّبة على سلطة هذه المعاني الآنفة الذّكر، إذ تكشف لنا الأخبار والمرويّات المبثوثة في كتب التّراث عن حضور واسع لمدارسة المعاني الشّعريّة في مختلف أنواع المجالس، سواء في مجالس الشّعراء أنفسهم[2]، أو مجالس العلم العامّة[3]، أو مجالس الخلفاء والملوك والأمراء[4]، بل تسري هذه الحالة لنجد لها حضوراً في المجالس المتخيّلة أيضاً[5]. ومن ثمّ فإنّ النّاقد من خلال تلبية حاجة الجمهور هذه، والخوض في مسائل المعاني، والعناية بقضاياه، يقترب من المجتمع، ويعقد صلة فكريّة مع أفراده بمختلف طبقاتهم.

وأنواعها وأساليبها، لزاد على ما وضع من قوانين الشعر والبلاغة. ينظر: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء:** حازم القرطاجني، ص 68–69.

(1) **البيان والتبيين** 81/4. وقد رصد الجاحظ بعض الشواهد على هذا التأثير، ينظر: **نفسه** 156/2، 35/3–42.

(2) ينظر: **أخبار البحتري** 173.

(3) ينظر: **الأمثال السائرة في شعر المتنبي:** الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عبّاد، ص 100.

(4) ينظر: **الأغاني** 176/9، و**الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين:** الخالديان، ص3/1.

(5) ينظر: **مقامات أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني:** بديع الزمان الهمذاني، ص375–376. و**رسالة التوابع والزوابع:** ابن شُهيد الأندلسي، ص128.

رابعاً – خاتمة البحث ونتائجه:

عالجت هذه الدراسة مسألة أهميّة المعنى الشعريّ عند النقاد والبلاغيّين العرب القدامى، من الجاحظ (255هـ) إلى حازم القرطاجنِّيِّ (684هـ)، ومن خلال الدرس والتحليل يمكن لنا أن نخلُص إلى النتائج الآتية:

1) في شأن إشكاليّة اللفظ والمعنى:

تبين أنّ المقصود بالألفاظ عند النقّاد الصياغةُ والتّصوير، وأنّ كلامهم عليها في حقيقته إنّما هو في خدمة المعاني التي يروم الشّاعر التّعبير عنها، في إحداث خصوصيّة فنيّة فيها تكسبها مزيّة، وتدخلها باب الشّعر. وعليه فإنّ دعوى نصرتهم للفظ، وإغفالهم للمعاني وتهوينهم من شأنها، دعوةٌ واهمة باطلة، تناقض حقائق نصوصهم ودلالاتها المرادة، وتُسيئ إلى تفكيرهم النقديّ ونظريتهم في الشعر.

2) في شأن أهميّة المعاني الشعريّة:

كشف البحث على نحو جلي ما تمتّعت به المعاني الشعريّة من أهميّة كبرى، ومنزلة عالية عند النقّاد والبلاغيّين القدامى، إذ جعلوها مدار الحكم على الشّعراء، وأفرغوا جهداً كبيراً في شرحها وتأويلها وتتبّع أصولها، وفي العناية بالرواية في سبيل الحفاظ على صحتها وسلامتها من أيّ خلل أو تحوير.

3) في شأن أسباب أهميّة المعاني الشعريّة:

توصل البحث إلى جملة من الأسباب التي أوجبت على النقاد وحفزتهم بآن، إلى العناية بالمعاني والحفاوة بها، أهمّها: طبيعة الثقافة العربيّة والإسلاميّة التي يشكل البحث عن المعنى ركيزتها الأساسيّة، وارتباط وظيفة الشعر عند العرب بمعانيه ومضامينه، وسلطة المعاني الشعريّة على المجتمع العربيّ حينذاك، ولاسيما معاني المدح والهجاء، وشدّة تأثيرها في نفوس أفراده، وقدرتها على الرفع والخفض.

المصادر والمراجع

(1) **أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية:** بدوي طبانة، مطبعة مخيمر – القاهرة، ط1، 1952م.

(2) **أخبار أبي تمام:** أبو بكر الصولي (335هـ)، نشره وحققه وعلق عليه خليل عساكر ومحمد عزام ونظير الهندي، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ط1، 1937م.

(3) **أخبار البحتري:** أبو بكر الصولي (335هـ)، حققها وعلق عليها صالح الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط1، 1985م.

(4) **الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية:** ضياء الدين بن الأثير (637هـ)، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف– الإسكندرية، 2005م.

(5) **كتاب أسرار البلاغة:** عبدالقاهر الجرجاني (471هـ)، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، [تا المقدمة 1991م].

(6) **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين:** الخالديان؛ أبو بكر(380هـ) وأبو عثمان (391هـ)، حققه وعلق عليه السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، 1965م.

(7) **إعجاز القرآن:** أبو بكر الباقلاني (403هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط5، 1997م.

(8) كتاب أعلام الكلام: ابن شرف القيرواني(456هـ)، تحقيق محمد عزب، دار الآفاق العربية- مصر،2003م، ص48.

(9) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (356ه)، دار الكتب المصرية – القاهرة.

(10) أمالي المرتضى: الشريف المرتضى (436هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1373ه.

(11) الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي (414هـ)، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مؤسسة هنداوي.

(12) الأمثال السائرة في شعر المتنبي، والروزنامجة: الصاحب بن عبَّاد (385هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة – بغداد، ط1، 1965م.

(13) البخلاء: الجاحظ (255ه)، حققه طه الحاجري، دار المعارف – مصر، ط5.

(14) البرهان في وجوه البيان: إسحاق بن وهب الكاتب (335هـ)، تحقيق محمد حفني شرف، مكتبة الشباب ومطبعة الرسالة – القاهرة، 1969م.

(15) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط7، 1998م.

(16) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ابن أبي الإصبع المصري (654هـ)، تحقيق حفني شرف، الجمهورية العربية المتحدة – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

(17) التشبيهات: ابن أبي عون (322هـ)، عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كمبردج، 1950م.

(18) التنبيهات على أغاليط الرواة: علي بن حمزة البصري (375هـ)، تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف – القاهرة، [تا المقدمة 1967م].

(19) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: أبو علي ابن يعقوب مسكويه (421هـ)، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط1.

(20) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: [النُّكت في إعجاز القرآن للرماني (386هـ)، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (388هـ)، والرسالة الشافية لعبدالقاهر الجرجاني (471هـ)]: حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف – مصر، ط3، [تا المقدمة 1956م].

(21) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ابن الأثير الجزري (637هـ)، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1375هـ.

(22) الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، بتحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1965م.

(23) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952م.

(24) الخطاب النقدي (التراث والتأويل): محمد عبدالباسط عيد، مؤسسة الانتشار العربي – بيروت، ط1، 2017م.

(25) دراسة في البلاغة والشعر: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة – القاهرة، ط1، 1991م.

(26) دلائل الإعجاز: أبو الحسن عبدالقاهر الجرجاني (471هـ)، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي – القاهرة، [تا المقدمة 1984م].

(27) كتاب ديوان المعاني: أبو هلال العسكري (395هـ)، تحقيق أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 2003م.

(28) رسالة التوابع والزوابع: ابن شُهيد الأندلسي (426هـ)، صححها بطرس البستاني، دار صادر – بيروت، ط2، 1996م.

(29) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط معانيه: أبو علي الحاتمي (388هـ)، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر – بيروت، 1965م

(30) رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم: أبو أحمد الحسن العسكري (382هـ)، أعاد نشرها محققة عباس أرحيلة، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، الحولية 27، الرسالة 251، 2006م.

(31) رسالتان من التراث النقدي عند العرب: [رسالة في الدفاع عن الشعر للطيب بن علي بن عبد(؟ هـ)، والفرق بين المترسل والشاعر لأبي إسحاق الصابئ (384هـ)] تحقيق زياد الزعبي، الآن ناشرون وموزعون – الأردن، ط1، 2017م.

(32) رسائل الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قدم لها وبوبها وشرحها علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال – بيروت، 2002م.

(33) سِرُّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي (499هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1982م.

(34) سرقات أبـي نـواس: مهلهل بن يموت (334هـ)، تحقيق محمد هدارة، دار الفكر العربي – القاهرة.

(35) شرح الصولي لديوان أبي تمام: دراسة وتحقيق خلف رشيد نعمان، الجمهورية العراقية – وزارة الإعلام، سلسلة التراث 55.

(36) الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري (276هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف – مصر، [تا المقدمة 1958م].

(37) كتاب الصناعتين النثر والشعر: أبو هلال العسكري (395هـ)، حققه وضبط نصه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1981م.

(38) طبقات الشعراء: ابن المعتز (296هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد الفراج، دار المعارف – مصر، [تا المقدمة 1956م].

(39) طبقات فحول الشعراء: ابن سلَّام الجُمحي (231هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، [تا المقدمة 1974م].

(40) كتاب الطِّراز المتضمِّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (745هـ)، [قدمه له وعلق عليه سيد بن علي المرصفي]، مطبعة المقتطف – مصر، 1333هـ.

(41) طيف الخيال: الشريف المرتضى (436هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1955م.

(42) ظاهرة الخلط في التراث البلاغي والنقدي بين المعنى الأدبي والمعنى الاجتماعي: عبدالحكيم راضي، مكتبة الآداب – القاهرة، ط2، 2006م.

(43) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني (463هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل – بيروت، ط5.

(44) عيار الشعر: محمد بن أحمد ابن طَباطَبا العلوي (322هـ)، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

(45) الفتح على أبي الفتح: ابن فورَّجة البروجردي (455هـ)، تحقيق عبدالكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط2، 1987.

(46) الفسر "شرح ديوان المتنبي": أبو الفتح عثمان ابن جني (392هـ)، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع – دمشق، ط1، 2004م.

(47) فن القول: أمين الخولي، قدم لهذه الطبعة: صلاح فضل، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1991م، [ط1=1947م].

(48) قشر الفسر: أبو سهل الزوزني (445هـ)، تحقيق عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط1، 2006م.

(49) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية – بيروت، 1979م.

(50) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عبَّاد (385هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة – بغداد، ط1، 1965م.

(51) اللامع العزيزي: أبو العلاء المعري، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية –الرياض، ط1، 2010م.

(52) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والتوزيع– القاهرة، ط1.

(53) المستدرك على ابن جني فيما شرحه من شعر المتنبي– خمسون نصاً من كتاب مفقود: أبو الفضل العروضي (416هـ)، تحقيق محسن غياض، مجلة المورد– بغداد، مج4، ع4، 1975م.

(54) المستصفى في علم الأصول: أبو حامد الغزالي (505هـ)، تحقيق أحمد زكي حماد، دار الميمان – الرياض، والعالمية للنشر – القاهرة، ط1.

(55) مشكلة السرقات في النقد العربي – دراسة تحليلية مقارنة: محمد مصطفى هدارة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م.

(56) معجم الشعراء: أبو عبيدالله المرزباني (384هـ)، تحقيق فاروق اسليم، دار صادر – بيروت، ط1، 2005م.

(57) المعنى في علم الكلام والتفسير والنقد العربي القديم (رؤية نحوية دلالية): عبد السلام حامد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الكويت، الحولية 37، الرسالة 474، 2017م.

(58) مفهوم الشعر في تراثنا الأدبي: عدنان أحمد، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، ع165، 2022م.

(59) مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة: محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير – الأردن، 1988م.

(60) المقابسات: أبو حيان التوحيدي، تحقيق حسن السندوبي، دار سعاد الصباح – الكويت، ط2، 1992م.

(61) مقامات أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني: بديع الزمان الهمذاني (398هـ)، شرح محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المعاهد – مصر، 1923م.

(62) المقامة الحُصيبية في المفاضلة بين الفنون وأربابها وشرحُها: القاضي الرشيد أحمد بن الزبير (563هـ)، تحقيق ابتسام الصفار وبدوي فهد، إصدارات الحكمة – بريطانيا، ط1، 2002م.

(63) المنصف للسارق والمسروق منه: ابن وكيع التنيسي (393هـ)، حققه وقدم له: عمر خليفة بن ادريس، جامعة قات يونس – بنغازي، ط1، 1994م.

(64) مِنهاج البلغاء وسِراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني (684هـ)، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط3، 1986م.

(65) مـواد البيـان: علـي بـن خلـف الكاتـب (437هـ)، تحقيـق حـاتم الضـامن، دار البشائر – دمشق، ط1، 2003م.

(66) الموازنـة بـين شـعر أبـي تمـام والبحتـري: أبـو الحسـن القاسـم بـن بشـر الآمـدي (370هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – القاهرة، ط6، 2017م.

(67) الموشـح – مآخذ العلمـاء علـى الشعراء فـي عدّة أنـواع من صناعة الشعر: أبـو عبيـدالله المرزبـاني (384هـ)، تحقيـق علـي محمـد البجـاوي، دار نهضـة مصر.

(68) نصـرة الثـائر علـى المثـل السـائر: صـلاح الـدين خليـل بـن ايبـك الصـفدي (764هـ)، تحقيـق محمـد علـي سـلطاني، مجمـع اللغـة العربيـة بدمشـق، [تـا المقدمة 1971م].

(69) نظريـة المعنـى عنـد حـازم القرطـاجني: فاطمـة الوهيبي، المركز الثقافي العربـي – بيروت، ط1، 2002م.

(70) نظريـة المعنـى فـي النقـد العربـي: مصطفى ناصـف، دار الأنـدلس – بيـروت، ط2، 1981م.

(71) النقـد الأدبـي الحـديث: محمـد غنيمـي هـلال، نهضـة مصـر للطباعـة والنشـر والتوزيع – القاهرة، 1997.

(72) نقـد الشـعر: أبـو الفـرج قدامـة بـن جعفـر (337هـ)، تحقيـق وتعليـق محمـد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية – بيروت.

(73) **الواضح في مشكلات شعر المتنبي:** أبو القاسم الأصفهاني (410هـ)، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية– تونس، ط1، 1968م.

(74) **الوساطة بين المتنبي وخصومه:** القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني (392هـ)، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، 1966م.

(75) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر:** أبو منصور الثعالبي (429هـ)، شرح وتحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1983م.